فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "تفسير سورة مريم"
إني عبد الله
(باللهجة المصرية)
لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي
رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-133068.htm

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على إمام الأتقياء وسيد المرسلين، نبينا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

مواجهة مريم عليها السلام مع بني إسرائيل

يقول الله–سبحانه وتعالى– وهو يذكر المواجهة الفاصلة، التي حدثت بين عيسى –عليه السلام– وبين قومه، وبين اليهود يعني، عيسى –عليه السلام –كان من أنبياء بني إسرائيل، وزكريا –عليه السلام– كما قلت لكم هو الحبر الأعظم في بني إسرائيل، يقول الله –سبحانه وتعالى– "فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا*فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" مريم ٢٦:٢٧، يعني هما يقولون لها يا مريم لقد جئتِ شيئًا عظيمًا منكرًا، الفري هو العظيم المنكر البالغ في الإنكار حدًا كبيرًا، "يَا أُخْتَ هَارُونَ" مريم:٢٨، بدأوا يتهكموا بمريم، خلاص أصبحت مريم –عليها السلام– في نظرهم والعياذ بالله بغي، "يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ"، أبوكي رجل طيب وهو كذلك رضي الله عنه، ربنا –سبحانه وتعالى– في سورة آل عمران يقول "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ" آل عمران:٣٣، شوف قرن عمران –رضي الله عنه– بهؤلاء الأنبياء العظام، آدم وإبراهيم ونوح، "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"، فبيقولوا لها " مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا"، يعني هذه الأم كانت أمًا فاضلة لم تكن بغيًا يعني ماكنتش زانية، حينها استسلمت مريم لأمر الله، مش ربنا –سبحانه وتعالى– قال " فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا"، فاستسلمت مريم –عليها السلام– إلى أمر الله –عز وجل–.

أنطق الله الطفل الصغير لينقذ أمه مريم عليها السلام

وأشارت إليه، قال الله تعالى: " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ" مريم:٢٩، ولاحظ أن هذه الآيات بُدئت بالفاء اللي هي بتدل على إيه؟ اللي بتدل على السرعة والتكرار " فَكُلِي وَاشْرَبِي"، وبعدين؟ " فَأَتَتْ بِهِ"، يعني خلاص ساعة ما خلصت موضوع الكلام أتت، وبعض العلماء يقول أنها انتظرت مدة النفاس وبعدين رجعت إلى قومها، لكن هذه الفاء تفيد السرعة،

أنها رجعت خلاص معادش عندها مشكلة. فبيقولوا " يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ"، يعني شاورت على عيسى –عليه السلام–، " قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"، و–سبحان الله– العبارة دي لو تأملتها يظهر منها الغضب، إن هما كانوا زعلانين، "كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"، إزاي تشاور على عيل صغير في المهد يعني لسه رضيع، يعني له مهاد ينام فيه. حينئذٍ أنطقه الله، –سبحان الله– ربنا – سبحانه وتعالى– هو القادر إن هو يُنطِق الجماد، الجماد ينطق، ويوم القيامة يُنطِق الله –عز وجل– الجوارح بما عملت. يعني الإنسان في الدنيا بيتكلم بلسانه، لكن في الآخرة يقول " وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا" فصلت: ٢١، إزاي ده إحنا هنخش النار مع بعض كلنا، ربنا –سبحانه وتعالى– شوف يقولون لهم كما يقول الله –عز وجل–،" وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ"، ليس في أيديهم، " قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ".

أول ما نطق عيسى عليه السلام نطق بعبوديته لله –عز وجل–

شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– يُنطِق هذا الصبي الصغير في المهد،" فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" مريم ١٩: ٢٩: ٣٠، أول ما نطق عيسى –عليه السلام– نطق بإعلان عبوديته لله –عز وجل–، وده رد على النصارى الذين يقولون أن عيسى هو الله، أو أن عيسى ثالث ثلاثة. فربنا –سبحانه وتعالى– يقول إن أول كلمة نطق بها عيسى إعلان العبودية لله، لأن ربنا –سبحانه وتعالى– يعلم أنه سيخرج من يجعل عيسى إلهًا، فيقول لهم لأ، ده عيسى هو نفسه كان عبدًا لله –سبحانه وتعالى–. ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يقول إيه؟ " لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ" النساء: ١٧٢، يعني لا المسيح بن مريم يستنكف؛ يعني يستكبر كده وتأخذه العزة بالإثم إن هو يكون عبدًا لله، ولا حتى الملائكة الذين تعبدونهم، فأول ما نطق عيسى– عليه السلام– قال: " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ".

شهادة عيسى –عليه السلام– أمام الله يوم القيامة

لذلك يوم القيامة ربنا يقول لعيسى –عليه السلام–،" أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ " المائدة: ١١٦، يقول يارب " مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ" المائدة ١١٦: ١١٧، ده كلام عيسى –عليه السلام–، " وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" المائدة ١١٧: ١١٨، ربنا يقول إيه: " إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".

كل كلمة في القرآن أتت في مكانها ولحكمة كبيرة

ويا إخواننا لازم نتنبه وإحنا بنقرأ القرآن إن مفيش كلمة في القرآن جايه كده اعتباطي لا، لذلك سيدنا الإمام بن عطية –رحمة الله –يقول في المحرر الوجيز، أن كلام الله –عز وجل– لو انتُزعت منه لفظة؛ خدت كده لفظة وأدرت نفسك على لسان العرب كله، لفيت على لسان العرب كلمة كلمة عشان تعرف تجيب كلمة مكان الكلمة اللي انت شيلتها دي لن تستطيع، كل كلمة محطوطه لحكمة. الله –عز وجل– يقول " أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" التكاثر ١: ٢، شيل زرتم دي مثلًا وحطت مكانها كلمة، هتقول إيه يعني، ألهاكم التكاثر حتى دُفنتم، ماجبتش المعنى، ألهاكم التكاثر حتى وُضعتم ماجبتش المعنى، ألهاكم التكاثر حتى قُبرتم مجبتش المعنى، طب ما ربنا بيقول " ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ"، ما قُبرتم وخلاص، زُرتم دي لمعنى خاص، إن الزائر لا يجلس في بيت المزور طيلة عمره، إنت رايح تزور واحد بتقعد شويه وتمشي، ما بتقعدش يعني تبلط في المكان، خلاص شوية وماشي، أهو كده بالضبط القبر، ربنا بيقول "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ"، يعني إنت هتقعد شوية وتروح للآخرة، شيل بقى زرتم دي وحط مكانها كلمة تؤدي نفس المعنى الجميل ده، لا تستطيع.

في مقام الغضب من الله يطلب الأنبياء حكمته سبحانه

ولذلك لازم تتنبه، ده الآية دي ختامها " الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، الآية الثانية، لطيف خبير، الآية الرابعة، عليًا كبيرا، يجي في آية النساء يقول " إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" النساء: ٣٤، في آية الضرب، عشان إنت متضربش كده عمال على بطال، لو إنت مستعلي على المرأة فالله أعلى منك –سبحانه وتعالى–، وهو الكبير –سبحانه وتعالى– اللي هياخد حقها لو انت ظلمتها، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول هنا إيه؟ "إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ" الغفور الرحيم؟ ماشيه كده لا، " فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" المائدة: ١١٨، ليه العزيز الحكيم هنا؟ ربنا –سبحانه وتعالى– يقول هنا العزيز الحكيم لأن المقام مقام غضب، مقام غضب من الله –سبحانه وتعالى–، تقول له يارب إنت حكيم، أنت عزيز تستطيع أن تفعل ما تشاء وحكيم تضع الشيء في موضعه، ولذلك سيدنا نوح –عليه السلام– يقول إيه؟ يقول لله –عز وجل– وهو بيلتجيء إلى الله ويقول له " فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ" هود: ٤٥، يقول له وأنت أرحم الراحمين، يقول له " وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ"، يقول له يارب هي حكمتك أنت أعلم به يارب إن كان هو من أهل الجنة أو من أهل النار، كان هو من أهل الرحمة أو من أهل العذاب ولذلك انت لازم تتأمل في الآيات دي.

ليس هناك تكرار في آيات القرآن

فربنا –سبحانه وتعالى– يقول "أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ"، يقول يارب أبدًا ما حصلش إن أنا قلت لهم الكلام ده، لكن قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم، هو ربي وهو ربكم، وربنا –سبحانه وتعالى– قال إيه؟ " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ"، يعني باعتبار ما سيكون يعني، اللي هو الإنجيل، يبقى احنا عندنا واذكر في

الكتاب؛ القرآن، هنا آتاني الكتاب؛ الإنجيل، وسيدنا يحيى ربنا بيقول له خُذ الكتاب؛ التوراة، شوف القرآن أحيانًا اللفظة تأتي بأكثر من معنى، وانتبهوا أيضًا إلى نقطة كفائدة يعني إن أصلًا أصلًا مفيش حاجة اسمها تكرار في القرآن الكريم، مفيش كده ماعندناش حاجة في القرآن الكريم مكررة، قول إزاي مفيش مكررة، ما ربنا بيقول في سورة الرحمن كم مرة " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" الرحمن:١٦، وألا يقول مثلًا في سورة المرسلات " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ" المرسلات:١٥، لا هذا ليس تكرارًا، لازم تدور كده وتفكر لماذا الله –عز وجل– قال هذه الآيات؟ ليس تكرار، تقول ما ربنا بيقول " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة ١: ٤، الرحمن الرحيم تكررت أهي، لا مش تكرار ولا حاجة، فإنت تنبه لكن هذه فائدة استطرادية.

أولو العزم الخمسة من الرُسُل

لكن هنا الكتاب ذُكر على ثلاثة أوجه، التوراة والإنجيل والقرآن، يقول له يا يحيى خُذ الكتاب؛ التوارة، ويقول للنبي – عليه الصلاة والسلام– واذكر في الكتاب؛ اللي هو القرآن، ويقول لعيسى –عليه السلام– أتاني الكتاب؛ يعني الإنجيل، وطبعًا الإنجيل مصدق لما بين يديه من التوراة، " وَجَعَلَنِي نَبِيًّا"، باعتبار أيضًا ما سيكون إن هو صار نبيًا من أنبياء الله، بل صار من أولي العزم الخمسة، احنا عندنا الأنبياء كبراء الأنبياء خمسة، اللي هو ذكرهم الله –عز وجل– في قوله " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" الأحزاب:٧، " شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ" الشورى:١٣، الأنبياء دول أولو العزم الخمسة من الرسل، أشرف الأنبياء والرسل، واختار الله –عز وجل– منهم إبراهيم ومحمد –عليهم الصلاة والسلام– ليكونا أشرف الأنبياء والرسل، واختار الله –عز وجل– من هذين الاثنين محمد–عليه الصلاة والسلام، فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخَلق على الإطلاق –عليه الصلاة والسلام–،

وكما يقول الناظم: وَأَفْضَلُ الخَلْقِ عَلَى الإطْلاقِ *** نَبِيّنَا فَمِلْ عَنِ الشقَاقِ

فعيسى عليه السلام جعله الله –عز وجل– نبيًا من أولي العزم الخمسة من الرسل، اللي ربنا –سبحانه وتعالى– قال للنبي –عليه الصلاة والسلام– " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ" الأحقاف:٣٥، اللي هما دول، كما قال جماعة من أهل العلم.

بعض الناس يجعلهم الله مباركين

بيقول إيه بقى؟ " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا" مريم ١٩: ٣٠ – ٣١، يعني شوف بيقول له إيه؟ بيقول لهم "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا" يعني "أَيْنَ مَا كُنتُ"، دي من ألفاظ العموم، يعني مفيش مكان أحل فيه إلا وتحل فيه البركة، و–سبحان الله– فيه ناس كده ربنا –سبحانه وتعالى– يطرح فيهم البركة، أي مكان يروحوه ربنا يبارك في هذا المكان،

وكان أعظم الناس بركة؛ هو رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم– شوف الناس تعطش وما تلاقيش ميه تشرب، نلاقي الماء ينبع من بين أصابعه–عليه الصلاة والسلام–، من بركته، الوعاء متكفيش ثلاثة أنفار ولا أربع أنفار يضع النبي – عليه الصلاة وسلام– فيها يده أو يبصق فيها تكفي الجيش ١٤٠٠ واحد، ولا ١٥٠٠ واحد يكفيهم، جابر –رضي الله عنه– عليه ديون متلتله يجي النبي –عليه الصلاة والسلام– يطرح بركته في شوية بلح كده تسد دين جابر ويفضل كمان –رضي الله عنه وأرضاه–، ففي ناس ربنا –سبحانه وتعالى– بيجعلهم مباركين.

يجب أن نبحث عن أسباب البركة

ويا إخواننا التعلق بالقرآن، التعلق بكتاب الله عز وجل يزيد في البركة ليه؟ لأن القرآن كتاب مبارك، " كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ" الأنعام:١٥٥، فكلما تعلق الإنسان ببركة القرآن كان أكثر بركة، بركة في عمره، تلاقي –سبحان الله– واحد مثلًا يقرأ ورده من القرآن يلاقي ربنا مبارك له في الوقت، ويعمل مصالح ويقضي مش عارف إيه ويروح ويجي، واليوم اللي ما يقرأش فيه الورد يوم مش مضبوط، مع أنه قرأ ورد، بل قال لي والله أحد المشايخ أنه كلما كان ورده أكثر شعر بالبركة أكثر، ولذلك لما واحد سأل أبوه بيقول له اللي انت فيه ده كله منين، قال وأمسك المصحف هذا الذي كنت أطويه وأنشره، أطويه وأنشره حتى بلغت به ماكنت آمله، فدُم عليه وجاور من يجاوره، فالعلم أشرف شيءٍ أنت حامله، فالعلم أشرف شيءٍ أنت حامله، فالإنسان لازم ياخد بأسباب البركة دي. والله –عز وجل– كما قلت لكم جعل للبركة أسبابًا، واحد يتصدق ربنا يبارك له في ماله، واحد يقرأ القرآن ربنا يبارك له في عقله وفي صحته وفي هدوء نفسه، وفي بصيرته، ما هي البصيرة دي بركة، والبصيرة دي ربنا –سبحانه وتعالى– يؤتيها بنور القرآن، " وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ" النور:٤٠.

الفرق بين جبارًا شقيا وجبارًا عصيا

فربنا –سبحانه وتعالى– يقول ايه" وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي" مريم:٣١:٣٢، اللي هي السيدة مريم، ما هو مالوش أب يقول في سيدنا يحيى إيه،" وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ" مريم:١٤، لكن يجي في سيدنا عيسى يقول إيه،" وَبَرًّا بِوَالِدَتِي"، اللي هي مريم مالوش غيرها أمه بس مالوش أب، " وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا"، في سيدنا يحيى يقول جبارًا عصيا وهنا جبارًا شقيا ليه؟ المعصية بتيجي مع كثرة الذنب، فشوف هو يحيى –عليه السلام– له اثنين؛ أب وأم، فيجي معاه عصيًا لأن دي معصية اثنين، لو عق أبوه وأمه يبقى عق اثنين، لكن مع سيدنا عيسى هو ملوش إلا أم وقد وصى القرآن بالأم حتى مع وجود الأب، فما بالك بقى بالوصية بالأم مع فقد الأب لأي سبب أيا كان، فإذا كانت الأم وحدها بدون الأب وصار العقوق من الابن فهذه شقاوة، يعني شدة إجرام إن هو يعصي والدته أو يعقها، ولذلك ربنا يقول هنا " وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَصِيًّا".

وبعض العلماء يقول أن الآية الأولى ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر عن يحيى " وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا"، فمينفعش عيسى يقول ولم يجعلني جبارًا عصيا، إنما هو يقول،" وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا"، يعني هو بيقول أن الفرق بين دي ودي، إني دي ربنا –سبحانه وتعالى– هو اللي أخبر عن يحيى، ودي إخبار عيسى عن نفسه.

رد عيسى عليه السلام على اليهود والنصارى

وبعدين يقول ايه، "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ" مريم:٣٣، الآية الأولى ربنا يقول "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ" مريم:١٥، بالتنكير لكن هنا يقول بالتعريف، "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ" طبعًا ده أعظم وأفخم، لذلك العلماء أخذوا من هذه الآية تفضيل عيسى على يحيى، صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"، ليه بقى يقول يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيا؟ ردًا على اليهود، شوفوا القرآن وعظمة هذا الكتاب المبين، يرد على النصارى يقول إني عبد الله، خلاص يبقى النصارى كده طلعوا من الموضوع وهيجي يرد عليهم تاني كمان، وبعدين يرد على اليهود، اليهود قالوا والعياذ بالله أن عيسى ولد زنى وأنه صُلب وأنه سيحشر يوم القيامة مع الملاحدة والكفار، اليهود كده اعتقادهم في عيسى، واليهود بيكفروا النصارى، والنصارى بيكفروا اليهود لكن الاتنين يجوا على المسلمين مش مشكلة. لكن ربنا –سبحانه وتعالى– يجي يقول ايه هنا بقى؟ يرد على اليهود يرد على اعتقاد اليهود، يقول، "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ"، لأنه ليس ابن زنا وإنما هو آية من آيات الله، " وَيَوْمَ أَمُوتُ"، لأنه هو عليه السلام لم يُصلب كما تقول اليهود وكما أيضًا تعتقد النصارى، " وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"، لأنه سيُبعث مع الأنبياء والمرسلين مع أولياء الله المتقين، لكن التانيين سيحشرون في النار والعياذ بالله –سبحانه وتعالى– يُمثَل لهم ما كانوا يعبدون من دون الله يدخلوا النار والتانيين وراهم نسأل الله العفو العافية.

الشرك بالله أعظم الذنوب

يقول ربنا –سبحانه وتعالى– بقى إيه،" ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" مريم:٣٤، عايزين تعرفوا حقيقة عيسى وأمر عيسى واللي حصل مع عيسى؟ حصل كذا وكذا "قَوْلَ الْحَقِّ"، وفي قراءة أخرى " قَوْلُ الْحَقِّ" يعني هذا قول الحق في شأن عيسى –عليه السلام–، " الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ"، يعني يختلفون ناس يقولوا ده عيسى مولود من يوسف مش عارف النجار، ولا ناس يقولوا ده عيسى مش عارف إيه، لا عيسى آية من آيات الله، ربنا –سبحانه وتعالى– أرسل جبريل نفخ في درع مريم؛ الدرع اللي هو الكُم، نفخ في درعها فجاء عيسى صلوات الله وسلامه عليه، " مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ" مريم:٣٥، بيرد على النصارى تاني أهو، " سُبْحَانَهُ"، انتوا إزاي أصلًا تقولوا إن الله ...،" مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ" المؤمنون:٩١، يقول انتوا إزاي أين عقولكم أيها الناس "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" الإخلاص٣:٤، "مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ" مريم:٣٥، و هيجي في آخر الآية يجيب الآيات التي تهد الجبال، تهد الجبال هدًا، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا*وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا" مريم٩١:٩٢، ويقول قبلها إيه، "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا" مريم:٩٠، يقول قبلها، "لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا" مريم:٨٩، شوف نهاية الآية، ونهاية الدال دي دال مشددة كمان، يعني تنبيك بإيه؟

بشدة الأمر، وهول هذه المصيبة التي افتروها على الله تعالى، يقول"مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ" يعني تنزه،"إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا"، يعني إذا ربنا –سبحانه وتعالى– أراد شيئًا "فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"، وهذا ردٌ أيضًا على فرق من النصارى.

الصراط المستقيم الحق هو عبادة الله

وبعدين سيدنا عيسى يؤكد على نفس المعنى "وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" مريم:٣٦، عاوز الصراط المستقيم الحق هو عبادة الله –سبحانه وتعالى–. "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" آل عمران:٦٧،" فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ" مريم:٣٧، يعنى اختلف اليهود والنصارى في شأن عيسى، واختلف النصارى بعضهم مع بعضٍ في شأن عيسى، فهدى الله أهل الإسلام لما اختُلِف فيه من الحق بإذنه، دول يقولوا عيسى ابن الله، ودول يقولوا عيسى ولد زنى، لكن أهل الإسلام المسلمين يقولوا " عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" النساء:١٧١، شوفوا لذلك هو الدين الحق، الدين الصدق هو الإسلام، الناس كلها مختلفين الحق مع دين الله، مع كتاب الله –سبحانه وتعالى–، يقول "فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ"، وبعدين بقى إيه؟ يعظ ويذكر، ودي عادة القرآن إن القرآن العظيم يجي دايمًا يذكر بالدار الآخرة وإن الناس مصيرهم إلى الله – عز وجل–.

يوم القيامة هو أشد يوم على الناس

يقول "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ"، يوم القيامة، يوم شديد؛ من بدايته وهو يوم شديد، من بداية يوم القيامة وهو يوم شديد، الله –عز وجل– يأمر إسرافيل عليه السلام فينفخ في الصور فالناس تصعق " فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ" الزمر:٦٨، وبعدين ربنا –سبحانه وتعالى– يأمر السماء أن تمطر أربعين يومًا فتظل السماء تمطر أربعين يومًا مطر غليظ أبيض متتابع، كما يقول ابن القيم –رحمه الله–:

وإذا أراد الله إخراج الورى من قبرهم إلي المعادِ الثاني

ألقى على الأرض التي هم تحتها والله مقتدرٍ وذو سلطانِ

مطرًا غليظًا أبيضًا متتابعًا، عشرًا وعشرًا بعدها عشران، يعني أربعين يوم،

فتظل تنبت منه أجساد الورى مثل النبات كأجمل الريحان،

حتى إذا ما الأم حان ولادها وتمخضت فنفاسها متدانِ،

أوحى لها رب السماء فتشققت فإذا الجنين كأكمل الشبان،

" إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" الزلزلة ١:٨، نسأل الله العفو والعافية.

اختر لنفسك أين تريد الخلود؟

فربنا –سبحانه وتعالى– يقول إيه؟ "... فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ* أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ" مريم٣٧:٣٨، يعني ما أسمعهم في هذا اليوم خلاص، " فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ" ق:٢٢، انتهى خلاص، " أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا" مريم:٣٨، " إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ" العلق:٨، " وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ" النجم:٤٢، مرجعنا إلى الله ومصيرنا إليه، " لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"، تخبط واضطراب واضح عليهم، " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ" مريم:٣٩، القرآن يصف يوم القيامة بيوم الحسرة، يوم الحسرات يتحسر فيه الصالح أنه لم يزدد من الصلاة، ويتحسر فيه العاصي على معصيته، فربنا –سبحانه وتعالى– بيقول " وَأَنذِرْهُمْ"، ذكرهم وعظهم يوم الحسرة، " إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ"، خلاص انتهى، قضي الأمر من قبل الله –عز وجل– فصار أهل النعيم في النعيم وأهل العذاب في العذاب. لذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول أن الله –عز وجل– يأتي بالموت يوم القيامة في صورة كبشٍ أملح، يطلع أهل الجنة وأهل النار، يقول يا أهل الجنة هل تعرفون هذا يقولوا نعم يارب نعرفه هذا الموت، يا أهل النار تعرفون هذا نعم يارب نعرفه، فيأمر الله –عز وجل– به فيُذبح، الموت يُذبح، ويقول يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، الحديث" إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، يُجاءُ بالموتِ كأنَّه كبشٌ أمْلحَ، فيُوقفُ بين الجنةِ والنارِ، فيُقالُ: يا أهلَ الجنةِ هل تعرفون هذا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ، فينظرونَ، ويقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُّهم قد رآه، ثم يُنادى: يا أهلَ النارِ هل تعرفونَ هذا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ، فينظرونَ، فيقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُّهم قد رآه، فيُؤمرُ به فيُذبحُ، ويُقالُ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ ولا موتَ" صححه الألباني، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.

من يعمل من الصالحات فلن يضيعه الله أبدا

شوف ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول إيه " إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ"، انتهى خلاص الموضوع، الموضوع انتهى خلاص "وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ*إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ" مريم ٣٩:٤٠، الأرض لله –عز وجل– يورثها من يشاء من عباده، لذلك ربنا –سبحانه وتعالى– حكى في آخر سورة الأنبياء مشهدًا عظيمًا نختم به هذا المجلس، يقول الله –سبحانه وتعالى– بعدما ذكر مريم وزكريا، بيقول " وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا

خَاشِعِينَ* وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ * إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ *وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ" الأنبياء ٨٩:٩٣، اللي هما يعني اليهود والنصارى المختلفين، "فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ" الأنبياء:٩٤، يعني إيه فلا كفران لسعيه دي؟ يعني مش هيتغطى، الكُفر هو التغطية والستر، فاللي يعمل من الصالحات لا يمكن ربنا يضيع أجره أبدًا.

حُكم الله يوم القيامة بين أهل الحق وأهل الباطل

" فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ * وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ" الأنبياء ٩٤:٩٩، قالوا طيب أمال عيسى والناس اللي عُبدت من دون الله من الصالحين، قال "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ" الأنبياء ١٠١:١٠٤، السجل اسم مَلَك يطوي الكتب، وفي رواية أخرى " يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ"، زي ما الكتاب كده بيطوى " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ..." الأنبياء ١٠٤:١٠٥، شوف معاني القرآن حين تتآلف، سورة مريم قبلها بسورة، مريم، طه، الأنبياء، نفس المعاني في سورة الأنبياء، يقول في الآخر بقى إيه "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ"الأنبياء ١٠٥:١٠٨، شوف نفس المعاني، "... فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ *وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ" الأنبياء ١٠٨:١١٢، وفي القراءة الأخرى "قُل رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ"، "وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ"، وصلى الله على نبينا محمد وآله والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36